ولكنه لا ينسى من ذكر حاله وكيف أنهضه ممدوحه بعد أن قص جناحه ريب الزمان، وكيف جبر كسره، ثم يعود في الختام ليفديه بنفسه.

والقصيدة كلها جميلة ورائعة ومؤثرة في النفس لما فيها من معاني الذلة والانكسار التي ألمت بالشاعر، ولا يسع قارئها إلا أن يحزن لما آل إليه حال الشاعر بعد رحيله عن بغداد مجبراً وبالرغم عنه، وفي هذا دليل صادق على ماقلناه فيما سبق من المقال عما أصاب أهل بغداد من الذعر والخوف والوحشة إثر وفاة (هارون الرشيد) واقتتال جيوش ولديه (الأمين والمأمون) مما اضطر الشاعر إلى الرحيل عن بغداد إلى الرقة، وشتان مابين المدينتين.

قيمة الشاعر وآراء القدامى في شعره

احتل الشاعر مكانة لائقة به بين شعراء عصره، والمتبقي من شعره يدل على علو تلك المكانة، فكيف لو وصلنا كامل شعره.

وعظمته في زمانه تتجلى فيما قاله عنه كبار رجال الأدب والنقد، فابن المعتز يقول نقلاً عن أبي خالد العامري:"من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماءعلى العطشان..."ثم قال: "وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك، وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه".

وقال ابن رشيق:"ومن طبقة أبي نواس العباس بن الأحنف، ومسلم بن الوليد وصريع الغواني، والفضل الرقاشي، وأبان اللاحقي، وأبو الشيص".

وقال أبو الفرج الأصفهاني: "وكان أبو الشيص من شعراء عصره".

وذكر ابن كثير:"كان أستاذ الشعر، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء". وقال الخطيب البغدادي: "ولقد كان يفضل على شعراء زمانه، يقرون له بذلك لا يستنكفون، وكان من أعذب الناس ألفاظاً، وأجودهم كلاماً، وأحكمهم رصفاً، وكان وصافاً للشراب، مداحاً للملوك، ودعبل بن علي ابن عمه، ويقال إنه من استقى وحفظ أشعاره كلها فاحتذى عليها".

وقال ابن المعتز أيضاً: "وأشعاره ونوادره وملحه كثيرة جداً"، وقال: "شاعر مطبوع، سريع الخاطر، رقيق اللفظ".

وقال الرفيق النديم في قطب السرور: "وهذا أبو الشيص، نقي الكلام، متميز